

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الدرس : 5 - سورة الرحمن - تفسير الآيات 31-36

12-01-1996

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والتسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام: مع الدرس الخامس من سورة الرحمن، ومع الآية الثلاثين وهي قوله تعالى:

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّقْلَانِ (31) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

(سورة الرحمن)

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّقْلَانِ: آية من أشد آيات الوعيد:

قال بعض العلماء: إن هذه الآية من أشد آيات الوعيد، وهي تشبه قوله تعالى:

﴿ ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً (12) وَبَيَّنَّ شُهُوداً (13) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾

(سورة المدثر)

﴿ ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾

أي دعه لي يا محمد، أنا أزييه، أنا أؤدبه، وهذه الآية وهي قوله تعالى:

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّقْلَانِ ﴾

محاسبة الناس حساباً دقيقاً يوم القيامة:

فَرَعَ يَفْرُغُ كَانَ مَشْغُولاً فَفَرَغَ مِنْ شِغْلِهِ، وَهَذَا الْمَعْنَى لَا يَلِيقُ بِاللَّهِ إِطْلَاقاً، لَكِنِ الْمَعْنَى الْآخِرَ الَّذِي وَرَدَ فِي اللُّغَةِ وَالَّذِي يَلِيقُ بِكَمَالِ اللَّهِ: فَرَغَ إِلَى الشَّيْءِ، أَي قَصَدَ إِلَيْهِ، أَي سَنَقْصِدُ إِلَى مَحَاسِبَتِكُمْ حِسَاباً دَقِيقاً.

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(سورة الحجر)

الناس لجهلهم يتوهّمون أنك إذا أكلت مالاً حراماً باحتيالٍ أو بقوةٍ أو بقهرٍ فأنت ذكي، أنك إذا اعتديت على أعراض الناس فأنت فحل، إذا فعلت كذا وكذا فأنت شاطر، الله سبحانه وتعالى يُبيّن أن هناك حساباً دقيقاً دقيقاً:

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

(سورة الزلزلة)

العاقل من يبحث عن جواب لربه عن كل سؤال يوم القيامة:

((ما من عثرة، ولا اختلاج عرق، ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم، وما يغفر الله أكثر))

(أخرج ابن عساکر عن البراء)

سوف يفاجأ الإنسان يوم القيامة أن أعماله في الدنيا كلها صغيرها وكبيرها، جليلها وحقيرها، مسجلةٌ عليه بوقتها وزمانها وحجمها ونواياها وأهدافها وأن هذا الكتاب (كتاب الإنسان):

﴿ مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

(سورة الكهف)

من هو العاقل؟ العاقل هو الذي يبحث عن جوابٍ لربه في كل لحظة من حياته، لماذا ابتسم لهذا الطفل ولم يبتسم لهذا؟ لم يعدل بينهما، لماذا أعطى هذا ولم يعط هذا؟ لماذا وصل هذا وقطع هذا؟ كله في حسابٍ دقيق، إن لكل حسنةٍ ثواباً ولكل سيئةٍ عقاباً.

محاسبة الإنسان لنفسه قبل حساب ربه له:

﴿ سَنُفَرِّغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾

سنقصد إلى محاسبتكم.

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

حساباً دقيقاً على مستوى الذرات لقول الله عز وجل:

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

ابتسمت في وجه أخيك هو لك صدقة، أفرغت دلوك في دلو المستسقي هو لك صدقة، أمطت الأذى عن الطريق هو لك صدقة، أعنت رجلاً على حمله هو لك صدقة، دلت الضال إلى مقصده هو لك صدقة، نزعت من المسجد قشّةً وضعتها في جيبك هو لك صدقة، كل الأعمال الصالحة مسجلةٌ لك، ابتسمت ابتسامة سُخريةٍ سوف تحاسب عليها، شددت نظرك إلى أبيك وكأنك تُعاتبه تحاسب عليه، أغلقت الباب بعنفٍ تعبيراً عن غضبك تحاسب عليه، تحاسب على مستوى الذرات، فكيف بالأخطاء الكبيرة؟ فكيف

بأكل أموال الناس بالباطل ؟ فكيف بانتهاك أعراض الناس ؟ فكيف بظلم الزوجة ؟ كيف بظلم الذي عندك يعمل ؟ لا تُعْطِه حَقَّهُ، الظلم ظلماتٌ يوم القيامة..

تهديد الله عز وجل للعباد لأنه يعلم السر و أخفى:

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾

من أشد آيات التهديد كقوله تعالى:

﴿ نَزَرْنَا وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيداً ﴾

﴿ سنفرغ لكم ﴾

سنقصد إلى محاسبتكم، وربنا عز وجل إذا حاسب يعلم السر وأخفى، يعلم الخبايا، يعلم النوايا، يعلم الأهداف، يعلم المقاصد، يعلم كل شيء، ويعلم ما أعلنته، ويعلم ما أسررته، ويعلم ما خفي عليك أنت، أنت مكشوف أمام الله عز وجل.

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾

هذا تهديد، يشبه قوله تعالى:

﴿ اعْمَلُوا مَا سِنْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(سورة فصلت: آية " 40 ")

الدنيا هدنة و امتحان للمؤمن و الكافر:

الله عز وجل حينما يهدد هو خالقنا، هو القوي.

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

(سورة البروج)

فإذا قال لك إنسان: شكوتك إلى الله، إذا كنت تعرف من هو الله ينبغي أن ترتعد فرائصك، ينبغي أن ينقصم الظهر إن قيل لك: شكوتك إلى الله، لأن الله بصير، وبيده كل شيء.

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾

فنحن في دار عمل، والآخرة دار حساب، نحن في دار تكليف، والآخرة دار تشريف، نحن في دار هدنة، الأمور كلها مجمدة، كالعام الدراسي كل الطلاب يدخلون إلى المدرسة، ويجلسون على مقاعد الدرس ويستمعون إلى المدرس، لكن الذي يدرس يجد هذا يوم الامتحان، والذي لا يدرس يجد هذا يوم الامتحان، الامتحان، الامتحان فرز للمجتهد والمقصر، والنتائج إعلان هؤلاء هم الناجحون وهؤلاء هم الراسبون، أما العام الدراسي هدنة، كلهم طلاب عند الناس، كلهم يرتدون زياً واحداً، كلهم يستمعون إلى محاضرات

واحدة، يتلقون عنايةً واحدة، يستخدمون أدواتٍ واحدة، لكن شتاتن بين الطالب المجتهد والطالب الكسول، هذا سوف يكرم وهذا سوف يخزي.

سَتَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّقْلَانِ: آية وعد للمؤمن و وعيد للكافر:

إذا: لا يعتر الإنسان إنه في صحة، هو في بحبوحه، له مكانة، له منصب رفيع، له شأن بين أسرته، هذا كله مؤقت، لكن الغنى والفقر بعد العرض على الله.

﴿ سَتَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّقْلَانِ ﴾

من أشد آيات الوعيد وبعضهم قال: هي من آيات الوعيد وآيات الوعد، ولا يخفى عليكم أن الوعد للخير، والوعيد للعقاب، قال علماء التفسير: هذه الآية آية وعدٍ ووعدٍ، فالذي جاء إلى الدنيا وتعرّف إلى الله، وتعرّف إلى منهج الله، وطلب العلم، واختار امرأةً سالحة، وربى بناته على طاعة الله، ونشأ أولاده تنشئةً إسلاميةً طيبةً، وكسب المال الحلال وأنفقه في طاعة الله، هذا الذي عرف الله واستقام على أمره وأحسن لخلقه وتقرّب إليه، هذا إذا فرغ الله له ليحاسبه ماذا يفعل به؟ يدخله الجنة، إذا هذه آية وعدٍ ووعدٍ، أي أنه حينما يقرع جرس الامتحان الطالب المجتهد الذي أمضى العام الدراسي كله في دراسةٍ دؤوبةٍ يرقص قلبه فرحاً، لماذا؟ كل هذا التعب وكل هذا الجهد سوف يأخذ نتائجه الآن، سيكتئب، سيجيب، فهذه الآية ليست آية وعيدٍ فحسب بل هي آية وعدٍ ووعدٍ.

محاسبة الخلق و تسوية الحساب يدعو العاقل إلى التفكر:

قال بعضهم: الحمد لله على وجود الله، في الحياة الدنيا الأوراق مختلطة، في أقوياء، في ضعفاء، في أغنياء، في فقراء، في أصحاء، في مرضى، في مقهورين، في متجبرين، في أصحاب أعمار مديدة، في أصحاب أعمار قصيرة، في إنسان وسيم، في إنسان دميم، في إنسان موفّق في زواجه، في إنسان غير موفّق في زواجه، الأوراق مختلطة، لكن الله سبحانه وتعالى سيسوي كل الحسابات، وسيحاسب الخلائق كلها عن كل الهنات، وسوف يفرغ كما قال الله عزّ وجل لمحاسبة الخلق، فإذا كان في حساب، البطولة في الاستقامة، لو فرضنا افتراضاً ليس هناك حساب وليس هناك آخرة والدنيا هي كل شيء، وليس هناك مبادئ ولا قيم، ولا رحمة في قلوب العباد، لكان القوي هو الذكي، ولكان الغني هو العاقل، ولكان الذي يبني مجده على أنقاض الآخرين هو الشاطر، والذي يأخذ ما عند الناس ليستمتع به وحده هو المفلح، ولكن لأن هناك موتاً بعد الحياة، ولأن هناك حساباً دقيقاً بعد الموت، ولأن هناك جنةً إلى أبد الأبد، وناراً إلى أبد الأبد، ولأن هناك إلهاً يحاسب على دقائق الأمور، ويحاسب على الذرات، وكل شيءٍ عنده بمقدار.

﴿ وَإِنْ كَانَ مِنْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾

(سورة الأنبياء)

العاقل من يمضي وقته في طاعة الله:

لأن هناك موتاً وبعثاً ونشوراً وحساباً وجنةً وناراً، وإلهاً يحصي على عباده كل حركاتهم وسكناتهم، إذ العاقل هو المستقيم، العاقل هو الذي يكسب المال الحلال، العاقل هو الذي يمضي وقته في طاعة الله، في معرفة الله، في خدمة الخلق، في التقرب إلى الحق، هذا هو العاقل، لذلك قال العلماء: **ما كل ذكي بعاقل**. قد تجد إنساناً أوتي قدرةً فكريةً فائقةً تفوق بها في دراسته أو في جمع المال، أو تفوق بها فوصل إلى منصبٍ رفيع، ولكنه إن لم يعرف ربه، وإن لم يعرف أن هناك آخرةً بعد الدنيا وأن هناك حياةً أبديةً سرمديةً بعد الحياة الدنيا، وإن لم يستعد لهذه الحياة، وإن لم يستعد للحدث الذي لا بد منه، ألا وهو الموت فليس بعاقل لذلك قال تعالى:

﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (4) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (5) بِآيَاتِكُمُ الْمُفْتُونُ ﴾

(سورة القلم)

أرجح الناس عقلاً أشدهم لله حباً:

رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً مجنوناً، فسأل سؤال العارف:

((من هذا ؟ قالوا: هو مجنون، قال: لا، إنه مبتلى، المجنون من عصى الله))

هذا هو المجنون لذلك:

((أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً))

كلما نما عقل الإنسان اختار الله على خلقه، واختار ما عنده على ما عند خلقه، واختار الحياة الأبدية على الحياة الدنيا العابرة، ما هذه الحياة الدنيا ؟ إن كل مكتسباتك فيها منوطة بضربات القلب، إن كل مكتسباتك فيها منوطة بسيولة الدم، نقطة دمٍ إذا تجمّدت في رأس أي إنسان كائناً من كان ولو كان ملكاً يفقد منصبه، أليس كذلك ؟ الله جلّ جلاله هو مالك الملك، ولا أحد يملك شيئاً في حياته، إذ الآية الكريمة:

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَا الثَّقَلَانِ ﴾

سنقصد إلى محاسبتكم حساباً دقيقاً، لذلك النبي قال:

((حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، ومن حاسب نفسه في الدنيا

حساباً عسيراً كان حسابه يوم القيامة يسيراً))

المؤمن يُلقى الله في قلبه السكينة و الطمأنينة:

الله عزَّ وجلَّ أثنى على نفسِ إنسانية، قال:

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾

(سورة القيامة)

هذا الذي يجلس قبل أن ينام ماذا فعلت ؟ ماذا قلت ؟ كيف نظرت ؟ إلى ماذا استمعت ؟ هل صُننت سمعي عمَّا حَرَّمَ اللهُ ؟ هل صُننت بصري عمَّا حرم اللهُ ؟ هل ضبطت لساني ؟

((لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه))

(أحمد عن أنس بن مالك)

هل ضبطت جوارحي ؟ هل ضبطت بيتي ؟ هل ربَّيت أولادي ؟ هل حفظت بناتي ؟ هل دلت زوجتي على الله ؟ هل أعطيت ما بذمتي ؟ هل أدَّيت واجبي ؟ هل أحسنت رعاية من استرعاني الله به؟ هذا المؤمن يسأل نفسه كل يوم:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾

(سورة الفجر)

إن كانت نفسه لَوَّامَةً في الدنيا أصبحت نفسه مطمئنَّةً عند لقاء الله عزَّ وجلَّ، كلهم يخاف إلا المؤمن، يلقي الله في قلبه السكينة و الطمأنينة.

خير أعمال المرء خواتمها:

أيها الإخوة الكرام: البطولة في خريف العمر، والبطولة عند لقاء الله، والبطولة في خواتم الأعمال، من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام:

((اللهم اجعل خير عمرنا آخره، وخير أيامنا يوم لقاك، نلقاك وأنت راضٍ عن))

شَتَّانَ بين حياة المؤمن وحياة الكافر، ذكر لي أحد الإخوة يعمل في مستشفى طبيباً، جاءهم مريض مصاب بورمٍ خبيث في أمعائه، لكن هذا المريض مؤمن، قال لي هذا الطبيب ؟ والله أمره لعجيب، ما دخل عليه أحدٌ إلا أشهده أنه راضٍ عن الله، يقول له: اشهد أنني راضٍ عن الله، يا رب لك الحمد، المرض خبيث ومؤلّم، والألام لا تُطاق، وما سَمِعَ له صوتٌ ولا أنين، وكان إذا قرع الجرس يتهافت الأطباء والممرضون على خدمته، وتفوح من غرفته رائحة المسك، وتوفَّاه الله عزَّ وجلَّ، وأراد الله أن يعطي هؤلاء من المستشفى درساً بليغاً، دخل إلى الغرفة نفسها، مريضٌ مصابٌ بورمٍ خبيثٍ في أمعائه، لم يدع نبياً إلا كال له السباب، كلامٌ، اعتراضٌ، سخطٌ على الله، كلامٌ بذيء وقاسٍ، ومات على هذه

الحالة على حالة الكفر، مرضٌ واحد، وآلامٌ واحدة، وشتانٌ بين المؤمن والكافر، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))

(من صحيح مسلم: عن " صهيب ")

قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن:

المؤمن يرى أيدي الله فوق أيدي الناس، يرى يد الله تعمل في الخفاء، يرى الأفعال أفعال الله عز وجل، لا يشرك مع الله أحداً لا يرى غير الله، هذا التوحيد يريحه يُلقي في قلبه السكينة والطمأنينة، لا ينام مقهوراً لا ينام حاقداً، لا ينام في حيرةٍ من أمره، لا يرى في الأرض آلهةً تتحرك، لا يرى إلا إلهاً واحداً، هو في السماء إلهٌ وفي الأرض إله، يرى أن الأمر كله يرجع إليه، وأن الله بيده كل شيء، وبيده مصير كل مخلوق، وأن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقبّلها كيف يشاء، علاقته مع الله، هذه الراحة النفسية، هذه الطمأنينة هذه السكينة هي الصحة، ضغط الدم يأتي من ضغط الهَم، ضيق الشرايين، هناك ضيق للشرايين عصبى وليس وعائى، في أمراض للشرايين لا علاقة لها بتصلبها ولكن بالشدّة النفسية التي تنزل بصاحبها.

الشرك أساس الرعب و الخوف و الحقد:

أيها الإخوة: كلّمّا تقدّم الطب (وأنا أعني ما أقول) كلما تقدم الطب كشف أن أحد أسباب السلامة من الأمراض السكينة النفسية والطمأنينة، بل إن المرض الذي حَيَّر العلماء وحتى هذه الساعة ليس له دواء (الورم الخبيث) في أحدث تفسيرات هذا المرض أن الإنسان إذا أصابته شدّة نفسية خاف، أو حَقَدَ، أو فُهِر وهذا يأتي من الشرك، لقوله تعالى:

{ سَتَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا }

(سورة الحشر: آية " 2 ")

الرُّعْب والخوف والقهر والحقد يأتي من الشرك، يقول العلماء: إن الشدّة النفسية تُضعف جهاز المناعة، وجهاز المناعة مكفّف بضبط نمو الخلايا، فإذا ضعف جهاز المناعة تفلّنت الخلايا من عُقالها، وقد يعجب إنسانٌ أن هذه الأمراض الوبيلة تتفاقم بشكلٍ وبائي مع نقص الإيمان، ومع التعلُّق بالدنيا، ومع الانغماس في المعاصي والآثام.

نفس الإنسان أمانة بين يديه:

أيها الإخوة الكرام كما قال الله عز وجل:

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾

من هم الثقلان؟ في أوجه التفسير: الإنس والجن، لأن الله سبحانه وتعالى حينما قال:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

(سورة الأحزاب)

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾

(سورة الأنعام: آية " 130 ")

الله جل جلاله فيما يقول العلماء: خلق الخلق في عالم الدر، وعرض عليهم الأمانة، عرض عليهم أن تكون أنفسهم أمانة بين أيديهم، يؤكد هذا المعنى قوله تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

(سورة الشمس)

النفس الزكية و النفس الآثمة:

نفسك أمانة بين يديك، إن عرفتها برّبها وعرفتها بمنهج ربّها وحملتها على طاعة ربّها فقد أدّيت الأمانة، أدّيت الأمانة حينما زكّيت هذه النفس، وإذا زكيتها استحققت جنة ربها، فسعدت نفسك إلى أبد الأبدين، أما إذا أبقيتها جاهلة جهلت ربها، وجهلت منهج ربها، وجهلت سبيل سعادتها، وتعلقت بالدنيا وانغمست في ملذّاتها ثم جاءها الموت وهي صفر اليدين، وهي معتدية، وآثمة، ومرتكبة للمعاصي، هذه النفس تستحق النار إلى أبد الأبدين.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

معنى الثقلان:

1 - الثقلان من حملوا أمانة ثقيلة:

الله جل جلاله عرض الأمانة على السماوات والأرض أشفقت الخلائق منها وحملها الإنسان، حملها الإنس والجن، هؤلاء هما الثقلان، أما معنى الثقلين أي حملوا أمانة ثقيلة.

2 - الثقلان سيتحملون عذاباً ثقيلاً إن هم خانوا الأمانة:

المعنى الثاني: سيتحملون عذاباً ثقيلاً إن هم خانوا الأمانة، كإنسان تعطيه مصروف يومه، لا له ولا عليه، لكن إنسان تُعَدُّ إعدداً ليكون في أعلى منصب، فإن لم ينجح في دراسته، تُحَمَّلُهُ أعباء لا يحتملها، الغرم بالغنم، فالإنسان لأنه قبل حمل الأمانة سخر الله السماوات والأرض تسخير تعريف وتكريم، فإن وفق بما عاهد عليه الله سبق الخلائق كلها، رُكِبَ الملك من عقلٍ بلا شهوة، وركب الحيوان من شهوة بلا عقل، وركب الإنسان من كليهما، فإن سما عقله على شهوته كان فوق الملائكة، وإن سمّت شهوته على عقله صار دون الحيوان، والإنسان إما أن يكون فوق الخلائق كلهم، أو دون الخلائق كلهم.

تسخير السماوات و الأرض لمن كُلف بحمل الأمانة:

الآية الكريمة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾

(سورة البينة)

أي خير ما برأ الله أما:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾

(سورة البينة)

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾

أي الإنس والجن المخلوقات التي حملت الأمانة، ولأنها حملت الأمانة سُحِّرَتْ لها السماوات والأرض، وأنيطت بها مسؤولية جسيمة، وقد أُعْطِيَتْ سعادةً أبديةً متنامية، فإذا وفق الإنسان بما عاهد عليه الله فاز ونجح، وتفوق وأفلح، وإن لم يوف بما عاهد عليه الله، كانت ذنوبه ثقيلة لا يحتملها، أي لا يوجد حل وسط مع الإنسان، إما أن يتفوق فيسبق الملائكة المقربين، وإما أن يسفل فيكون أحط مخلوقات الله قاطبةً.

انقطاع الإنسان عن الله سبب استحقاقه للنار:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾

(سورة التين)

فإن لم يعرف الله:

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾

(سورة التين)

قرأت مرة خبر في جريدة: في أستراليا تم إعدام عشرين مليون رأس غنم، وحُفرت لها الحُفَر ووضعَت فيها للحفاظ على أسعار اللحوم في العالم، كم من شعب يموت جوعاً؟ أليست هذه وحشية؟ كم شعب يتلوى من الجوع؟ وكم شعب يُعاني من الفقر ما يعاني؟ عشرين مليون رأس غنم يتمُّ إعدامها في أستراليا حفاظاً على أسعار اللحم المرتفعة، ومحاصيل الحمضيات في أمريكا تُتلف حفاظاً على أسعارها المرتفعة، فلما بدأ الزوج يتسللون إليها ليأكلوها سُممت هذه المحاصيل في العام القادم للحفاظ أصحاب هذه المزارع على دخلهم المرتفع.

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾

الحرب العالمية الثانية خلّفت خمسين مليون قتيل.

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾

فالإنسان إذا تعرّف إلى الله صار خيِّراً، صار مصدر عطاء، مصدر أمن، مصدر إكرام، صار كوكباً دُرّياً، أما إذا انحرف عن طريق الحق صار وحشاً، الوحوش تأكل لتتبع، تفترس لتأكل فقط، لكن الإنسان يفعل ما لا يفعله وحشٌ على الإطلاق حينما ينقطع عن الله عزّ وجل.

استخلاف الإنسان في الأرض لإقامة العدل:

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾

أيها الإنس وأيها الجن، ألم يقل الله عزّ وجل:

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴾

(سورة الزلزلة)

الإنسان مخلوق مهم، إنسان حمل الأمانة، أنيط به إعمار الأرض، أنيط به إقامة حدود الله في الأرض، أنيط به الاستخلاف في الأرض، الإنسان مستخلف، قال تعالى:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

(سورة البقرة: آية " 30 ")

أمرنا أن نعمار الأرض، وأن نقيم العدل، وأن نحسن، فأنقال الأرض، الإنس والجن.

تسخير الكون للإنسان تسخير تعريف و تكريم:

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بَانَ رَبُّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (5) يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

(سورة الزلزلة)

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

الآلاء النعم، وأحياناً الكون كما تعلمون سخره الله مرتين، سخره الله للإنسان تسخير تعريف وسخره تسخير تكريم.

الجنة أكبر نعمة من نعم الله على الإنسان:

الآلاء هي الآيات الكونية الدالة على عظمته وهي النعم العظمى الدالة على كرمه، الآيات الدالة على عظمته، والنعم الدالة على كرمه.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

فحتى:

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾

هذه من نعم الله، فالإنسان أحياناً يشعر أن حظه من الدنيا قليل، لكن طاعته لله كثيرة، مطمئن إلى ماذا هو مطمئن؟ إلى عدالة الله، وإلى الآخرة، وإلى أن الله سوف يكرمه.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾

(سورة الضحى)

هذه الدنيا فانية، عرضٌ حاضر يأكل منها البر والفاجر، والآخرة وعدٌ صادق يحكم فيه ملكٌ عادل، ما الذي يجعلك مطمئناً راضياً وقد لا تملك قوت يومك، وقد لا تملك مأوى تأوي إليه؟ لأن الله وعدك بجنةٍ عرضها السماوات والأرض.

مجازاة المحسن و معاقبة المسيء من رحمة الله بالعباد:

قد يقول قائل: ما العلاقة بين:

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾

وبين:

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

أن يفرغ الله لنا، أن يحاسبنا، أن يُجازي المحسن على إحسانه، أن يعاقب المسيء بإساءته هذه من النعم الدالة على رحمته وعلى عدالته لذلك:

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فالفحص هل يعد وقتاً مزعجاً للمجتهد؟ لا، بالعكس وقت مريح له، لأنه في هذا الوقت يظهر تفوقه، ويظهر جده في العام الدراسي، وينال الدرجات العُلا، ويكرّم عن طريق الامتحان.

العقاب لمن عصى الله ورفض الدين:

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾

الآية دقيقة جداً:

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾

(سورة الرحمن)

أي أنتم في قبضة الله، إذا الإنسان عصى الله ورفض الدين وقال: الدين أفيون الشعوب، وقال: الدين غيبيات، ونحن نحب الواقعية، ونريد أن نعالج مشكلات الواقع، ودعنا ما بعد الموت فمن مات وعاد إلينا فأخبرنا؟ هذا ما يقوله الجهلة، الإنسان إذا رفض منهج الله، ورفض أصل الدين وانكب على الدنيا، انكب على جمع الدرهم والدينار، انكب على الانغماس بالملذات، انكب على العلو في الأرض، انكب على أن يبني مجداً على أنقاض الناس، نقول له: ثم ماذا؟ ماذا بعد التفوق؟ وماذا بعد الغنى؟ وماذا بعد القوة؟ وماذا بعد الصحة؟ وماذا بعد السيطرة؟ وماذا بعد الزواج؟ ثم ماذا؟

عدم استطاعة الإنسان الكافر التفات من عقاب الله:

قال:

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾

أي إن عصيتموني، إن لم تطبقوا منهجي، إن لم تتعزّفوا إلي، إن لم تؤمنوا بالآخرة، هل تستطيعون أن تتفانوا من عقابي؟ هل تستطيعون أن تتفانوا من قبضتي؟

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾

تسخير أجهزة الإنسان لتتوازن مع الحياة الدنيا:

الإنسان إذا ارتفع عن الأرض (كما قرأت قبل حين) من مستوى البحر إلى عشرة آلاف قدم فوق سطح البحر، أجهزته تحتل هذا الارتفاع، أما إذا زاد عن عشرة آلاف قدم، فقد سخر الله له في جسمه أجهزة تتوازن مع هذا الضغط المنخفض ونقص الأوكسجين، لكن بعد الستة عشر ألف قدم يغيب عن الوعي، لضعف التروية، وتمدد الغازات في جسمه فتتمزق رئاته، وينفر الدم من أذنيه، ويشعر بالآلام في مفاصله وبآلام في أمعائه لا تطاق (ستة عشر ألف قدم) فالطائرة الآن تطير على ارتفاع أربعين ألف قدم، أي عشرة كيلو متر، أو اثني عشر كيلو متر فقط.

أما القمر الذي وصلوا إليه وقالوا: غزونا الفضاء، قطعوا ثانيةً ضوئيةً واحدة، وقد كلفت المركبة التي وصلت إلى القمر ثمانية وأربعين ألف مليون دولار، رجلا نوصلا إلى القمر بألبسة خاصة تقيهم انخفاض الضغط، وبأجهزة هي قمة العلم البشري من أجل أن يصل اثنان إلى القمر لثانية ضوئية واحدة، أما الشمس تبعد عنا ثمانين دقيقة ضوئية، المجموعة الشمسية ثلاث عشرة ساعة ضوئية، درب التبانة مجرتنا مئة وخمسين ألف سنة ضوئية، أما نجم القطب أربعة آلاف سنة ضوئية، والمرأة المسلسلة مليون سنة ضوئية، قبل أحدث مجرة أربع وعشرين ألف مليون سنة ضوئية، أحدث مجرة ثلاثمئة ألف مليون سنة ضوئية، ماذا قطع الإنسان؟ ثمانية وأربعين ألف مليون دولار كلفه ليقطع ثانيةً ضوئيةً واحدة، ومن شدة فظاظته يقول: غزونا الفضاء، ماذا غزوت من الفضاء؟ انتقلت بمركبة إلى القمر كلفت أموالاً لا تحصى ولا تعد، ثم عدت إلى الأرض، فإذا قلت:

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطْعَمْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ﴾

عدم استطاعة الإنسان الفرار من الموت:

أرسلوا مركبة بلا أشخاص من ستة أعوام وصلت إلى المشتري، تقطع في الساعة أربعين ألف ميل، وعليها مرصدٌ عملاق قطر عدسته ثمانية أمتار، هذا المرصد رصد المجرة الحديثة التي تبعد عنا ثلاثمئة ألف مليون سنة ضوئية، الإنسان إذا عصى الله، ورفض الدين، ورفض الإيمان بالآخرة، وانغمس في الدنيا، وانكب على جمع الأموال، وانكب على اقتناص الملذات، يُقال له: أين المهرب؟

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾

(سورة الجمعة: آية " 8 ")

تصور إنسان يعدو وقلبه منخلٌ خوفاً من واحد يتبعه، كم هي المفاجأة إذا رآه أمامه.

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾

تقديم الجن على الإنس لأنه يستطيع اختراق السماء و الأرض:

الله عز وجل قال:

﴿ وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(سورة البقرة)

أينما ذهبت ؟ إذا ذهبت إلى أقصى الدنيا، إذا ذهبت إلى أطراف الأرض يأتي بكم الله جميعاً.

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ﴾

قَدَّمَ الجن هنا تقديم أهمية لأن الجن أقدر من الإنس على خرق السماوات والأرض.

تقديم الإنس في بعض الآيات على الجن لأنه أقدر على البلاغة:

وحيثما قال الله عز وجل:

﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾

(سورة الإسراء)

قَدَّمَ الإنس لأنه أقدر في البلاغة من الجن، تقديم دقيق.

الله تعالى علم الإنسان ما لم يعلم:

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾

من هو صاحب السلطان ؟ هو الله الواحد الديان، حتى لو أن الإنسان وصل إلى القمر وصل للقمر بسلطان العلم، من علمه ؟

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(سورة الإسراء: آية " 85 ")

المركبة الفضائية التي وصلت إلى القمر هذه مصنوعة في الأرض من مواد خلقها الله، ومن حقائق كَشَفَهَا الله للإنسان، ولولا أن الله خلق المواد وكشف الحقائق ما وصل الإنسان إلى القمر.

السلطان هو العلم الذي سمح الله به للإنسان:

﴿ لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾

السلطان هو العلم، العلم الذي سمح الله لكم به، الإنسان إذا رأى مثلاً طائرة تحمل ستمئة وخمسين راكباً، تحلق في أطباق الجو، هذا أحد منجزات العقل البشري، فمن خلق العقل البشري؟ الله جلّ جلاله، إذاً الله عزّ وجل أعطانا أثمن جهاز على الإطلاق، الإنسان بهذا العقل صنع الطائرات، وأرسل الأقمار الصناعية، ونقل الصور، وخاطب بالصورة، وغاص إلى أعماق البحار، وبنى البيوت، وصنع الأدوية، قد يقول الله له يوم القيامة: يا عبدي لو بذلت من هذا العقل أو هذا الذكاء واحد بالمليون لعرفتني، عرفت كل شيء، وصنعت كل شيء، وارتقيت إلى كل شيء، فمنجزات الحضارة الآن شيء لا يُستهان به، هذه ثمرة من ثمرات العقل البشري، فهذا العقل لو أعملته لما خلقه الله، لما خُلِقَ له، ماذا فعل بك؟

العقل أثمن شيء في الكون:

هل من المعقول إنسان يشتري حاسوباً مثلاً ثمنه ثلاثين مليوناً يحل له مليون مشكلة ثم يستخدمه طاوله، معقول؟ ألا يكون احتقره؟ نقول له: هذا تستعمله لغير ما صنع له؟ هذا يحل لك مليون مشكلة، يعطيك معلومات دقيقة، إنسان يستخدم حاسوب بثلاثين مليون طاوله معقول؟ والذي يستخدم عقله بكسب المال فقط، للإيقاع بين الناس، للعلو في الأرض، وينسى ربّه، فقد احتقر عقله.

أيها الإخوة مثل آخر: الآن في طابعات ملونة، إذا الإنسان استخدمها في اختصاص معين يحقق أرباحاً كبيرة جداً، لو استخدمها طاوله يكون قد خسرها، أما إذا استخدمها في تزوير العملة يدخل السجن (الآلة واحدة) يمكن أن تحقق أرباحاً طائلة، ويمكن أن تخسر قيمتها بتعطيلها واستخدامها لغير ما صنعت له، ويمكن أن تكون هذه الآلة الغالية الثمينة سبباً لدخول السجن، أليس كذلك؟ وهذا العقل، هذا العقل أثمن شيء في الكون على الإطلاق، أنت المخلوق الأول، وأثمن ما فيك العقل، لأن الجماد شيء، له طول، عرض، ارتفاع، وزن، يشغل حيّزاً، أما النبات شيء له وزن، ويشغل حيّزاً لكنه ينمو، غير الجماد، الحيوان، يشغل حيّزاً وينمو ويتحرك، الإنسان يشغل حيّزاً وينمو ويتحرك، ويفكر، فالإنسان إن لم يستخدم عقله لما خُلِقَ له هبط إلى مستوى الحيوان، الحيوان لا يحاسب وليس مكلفاً ولا يشقى، الإنسان الذي أوتي العقل إن لم يستخدمه أو عطله أو أساء استخدامه يشقى به، فذلك الله عزّ وجل أعطانا أثمن نعمة على الإطلاق ينبغي أن نستخدمها وفق منهج الله عزّ وجل.

علامة نكاه المؤمن استقامته على أمر الله:

استخدم الأجناب العقل في أعلى مستوى، فالمنجزات شيء لا يصدق، ممكن جهاز حاسوب يقرأ أربعمئة وخمسين مليون معلومة بثانية واحدة، ثورة المعلومات ومع ذلك فالمجتمع البشري الآن شقي لأن هذا العقل ما نقله إلى الله، ولا عرفه بمنهج الله، فالمجتمع الجريمة، مجتمع الانحطاط، مجتمع تبادل الزوجات، مجتمع زنا المحارم، مجتمع الشاذين جنسياً، مجتمع الانحلال، هذا إنسان استخدم عقله للمادة،

صنع الطائرات، صنعوا المركبات الفضائية، نقلوا الصور الملونة، يقول لك: يلتقط مئتين محطة، هذه سهلة؟ غير موضوع حرام أم حلال، سهلة تتحرك هذه الحركة الواسعة؟

لذلك العقل البشري قد ورد عنه في بعض الآثار:

((أن الله لما خلق العقل قال: أقبِل، فأقبل، ثم قال: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً

أحب إلي منك، بك أعطي وبك آخذ))

من الممكن بتفكير صحيح، بساعة تأمل صحيحة، بنظرة مجردة يمكن أن تسعد إلى أبد الآبدين، والمجرم بساعة تفكير حَمَقاء يرتكب جريمة، إعدام، شنقاً حتى الموت، أين عقله؟ فلما سيدنا خالد أسلم، ماذا يقول له النبي؟ قال له: عجبت لك يا خالد أرى لك فكراً. ما الذي أحرَّك؟ أنت عاقل، أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً، من علامة ذكائك من علامة راحة عقلك استقامتك على أمر الله، من علامة أعمال فكرك وفق ما أمر الله أنت تلتزم شرع الله، فتجد في علاقة بين التفوق العقلي وبين الالتزام الأخلاقي.

الأحمق ينظر أمامه و العاقل يعيش مستقبله:

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

(سورة الرحمن)

من عرف نهاية الكون؟ فهذه أحدث مجرة ثلاثمئة ألف بليون سنة ضوئية، ماذا بعدها؟ والأغرب من ذلك، أن هذه المركبة التي نقلت لنا صورة هذه المجرة، هذه المجرة كانت هنا قبل ثلاثمئة ألف بليون سنة، الآن وصل ضوءها إلينا، أين هي الآن؟ هل تصدِّقون أن هذه المجرات تمشي بسرعة مئتين وأربعين ألف كيلو متر بالثانية، تقترب هذه المجرات بسرعة الضوء، أين هي الآن؟ هذا الكون فماذا عن خالق الكون؟ أهذا الخالق العظيم لا تتعرَّف إليه؟ لا نقرأ كلامه؟ لا نتبع منهجه؟ لا نخاف منه؟ الإمام الغزالي قال كلمة، قال: "يا نفس لو أن طبيباً منعك أكله تحببها لا شك أنك تمتنعين، يا نفس أياكون الطبيب أصدق عندك من الله؟ إذا ما أكفرك". الله صادق لكن وعيد الطبيب أشد عنده من وعيد الله، يقول لك: جلطة، أو ضغط يرتفع فيسبب خثرة في الدماغ (شلل) ثم يقول لها: "أياكون وعيد الطبيب أشد عندك من وعيد الله (من جهنم)؟ إذا ما أجهلك". فالإمام الغزالي وصم نفسه بالكفر أو بالجهل إذا فكَّر في معصية الله، والإنسان حينما يعصي الله مدموغ بالجهل، والكفر، والحمق، والغباء، ضيق الأفق، ينظر إلى أمامه ولا ينظر إلى ما بعد الذي يراه، من هو العاقل؟ هو الذي يصل إلى الشيء قبل أن يصل إليه، العاقل يعيش مستقبله.

المؤمن في القبر أسعد منه في الدنيا:

أيها الإخوة: صدّقوني أعتلكم من أدخل الموت في حساباته اليومية ؛ في كسب المال، في إنفاق المال، في إدارة البيت، في معاملة الزوجة، في تربية البنات، في تربية الأولاد، في إنفاق المال، هذا هو العاقل، الذي يُعدُّ لساعة القبر حسابها.

شخص ساكن بغرفة، غرفة نوم، غرفة استقبال، غرفة طعام، مطبخ، بلاط، سجاد، تدفئة، حمام سيراميك مثلاً، ألم تتبع جنازة ؟ أين يوضع هذا ؟ على التراب، والله مرة كنت حاضراً دفن أخ كريم، الحفّار ترك فرجةً مفتوحةً في القبر، فلمّا أهال التراب على القبر قدّرت أن كميةً كبيرةً جداً وقعت فوق الميت من التراب، الواحد وهو في الدنيا، كله ملّمّع، كله نظيف، عنده حمام، عنده غرف نوم، عنده ملاءات نظيفة، أما إذا دخل القبر، هذا مصيرنا جميعاً من منا يستطيع أن يتفلّت من القبر ؟ لكن القبر صندوق العمل، القبر روضة من رياض الجنة، يتسع القبر للمؤمن حتى يكون مد بصره، وهو روضة من رياض الجنة، والمؤمن في القبر أسعد منه في الدنيا.

الكافر في القبر من أتعس الناس:

أما الكافر:

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾

(سورة غافر)

من ستة آلاف سنة، ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين ضرب اثنين الخير إلى الأمام.

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾

هذا عذاب البرزخ.

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾

الاستعداد للموت بالاستقامة و العمل الصالح:

إخوانا الكرام: الموت قريب جداً تعدُّ له بالعمل الصالح، بالاستقامة، بالإيمان، بطلب العلم، فلو شخص معه ضغط مرتفع كيف يعالجه ؟ ليس له أعراض، لا تعالج هذا الضغط المرتفع إلا بقياس الضغط أولاً لكي تعرف أن معك ضغط مرتفع، إنسان جاهل يقول لك: ماذا أفعل ؟ يكون مرتكب ألف معصية يقول لك: ماذا أفعل ؟ هكذا الناس كلها، احضر مجلس علم تعرف نفسك، تعرف استقامتك، تعرف الحلال، الحرام، الخير، الشر، فالإنسان بلا علم جاهل، وهذه المجالس مباركة إن شاء الله، هذه مائدة الله، هذا

كتاب الله، هذا الوحي الذي نزل على رسول الله، هذه معجزة مستمرة إلى يوم القيامة، والله ما من عمل على وجه الأرض، أعظم من أن تتعرف إلى كلام الله، تعرف أبعاده.

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطْعَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾

(سورة الرحمن)

الناس في قبضة الله يوم القيامة:

سمعت من يومين مقابلة مع إنسان له باع طويل بكتابة القصة، والقصة إذا حرّكت القسم الأسفل للإنسان هذه تحطّم القارئ وقد تصرفه عن القيم العليا، فسئل وهو في الثانية والثمانين ما مشاعرك وأنت في هذا السن؟ قال: أخشى ذنوبي، كم شاب قرأ هذه القصة فانحرف، وكم شاب قرأ هذه القصة وزلّت قدمه إلى الفاحشة، أين التفتت؟ الله عزّ وجل قال: أنتم في قبضتي يوم القيامة.

﴿ لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾

أيها الإخوة الكرام: أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً، من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي، ومن صلى العشاء في جماعة فهو في ذمة الله حتى يصبح. صليت الفجر في جماعة في درس علم صغير، نحن مقدمون على رمضان، عندنا إن شاء الله في رمضان درس الفجر ودرس بعد العشاء، هذا رمضان شهر القرب، شهر الطاعة، شهر التوبة، شهر الصلح مع الله، شهر الاستقامة، فإذا الإنسان صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي، ومن صلى العشاء في جماعة فهو في ذمة الله حتى يصبح، أنت بالفجر والعشاء تغطي اليوم بكامله والليل بكامله، أنت في ذمة الله، والطاعة جميلة، فالطاع لله والله يرقص فرحاً.

الإنسان المؤمن خفيف الوزن و المنحرف مثقل بالذنوب:

قال له: ما هذا أكبر؟ قال له: أعوذ بالله هذا عزّ الطاعة، الإنسان النظيف، دخله حلال، إنفاقه حلال، بيته منضبط، زوجته مؤمنة، بناته منضبطات، أولاده ربّاهم تربية دينية صحيحة، ما في معصية ببيته، ما في معصية بدخله، هذا إنسان خفيف الوزن كأنه يطير في الهواء، أما الإنسان المنحرف مثقل بالذنوب، الذنوب معها هموم، معها خوف، معها قلق، معها تمزّق، معها سوداوية، معها تشاؤم. أيها الإخوة الكرام:

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطْعَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

استحالة التفات من قبضة الله يوم القيامة:

فإن تفلّتم من قبضة الله، وهذا الشيء مستحيل.

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

(سورة الرحمن)

كشخص بأعلى درجة من العلم (الاقتصاد) يحمل دكتوراه من أمريكا، ويرأس شركة تأمين بأغنى بلاد العالم، ويركب أحدث سيارة، احترقت السيارة، ولحكمة أرادها الله لم يستطع أن يخرج منها حتى أصبح فحمةً هو وزوجته، لكن مؤمن على حاله.

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

عاقبة المتفلات:

كلكم يرى لما الإنسان ينحرف ماذا يحل به ؟ في بصائر تحت سمعنا وبصرنا، في زلازل، في براكين، في حروب أهلية، في قهر، أليس كذلك ؟ في تشرد، في قحط، في فقر، في مجاعات.

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

في الدرس القادم إن شاء الله تعالى:

﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

(سورة الرحمن)